محمد رسول الله صلى الله عليه وآله

نَبِيُّ الهُدَى وَالرَّحْمَة



٩٥

الأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة
قسم الثقافة والإعلام
الشؤون الفكرية والثقافية

محمد رسول الله صلى الله عليه وآله ..

نبيّ الهدى والرحمة

الأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة
قسم الثقافة والإعلام
الشؤون الفكرية والثقافية
١٤٣٤ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ

سورة الأنبياء - آية ١٠٧

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الخلق أجمعين أبي القاسم محمد المصطفى وعلى آله الطاهرين وأصحابه المنتجبين..

تسعى بعض وسائل الإعلام الغربية في السنوات الأخيرة - بحجّة حرّية الرأي والتعبير- للنيل من أعظم شخصية إنسانية في الوجود وهي شخصية النبيّ ﷺ، الذي تصوّره وسائل الإعلام الغربية بوسائل وأساليب ساخرة بأنه رجل حرب وقتل ونهب وسلب، وأنّه كان غليظ القلب، وأنّ الإسلام دين العنف والرهبة والقتال.

هذه الشخصيّة الّتي نالت القدر الأوفى من كلّ الشمائل الحسنة والخلال النبيّلة، والقيم الإنسانيّة العليا، وحرّرت الإنسان ورفعت عنه إصر عبوديات وأغلال كثيرة كانت منتشرة في العالم، فلقد شكّلت شخصية النبيّ ﷺ الرجل الّذي اكتملت فيه كلّ الأخلاق الحميدة، وانتفت عنه كلّ الأخلاق الذميمة، قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾(١).

فشكّلت حياة النبيّ ﷺ المثل الأعلى للإنسانية في جميع أحوال الحياة وأوجهها؛ في السلم والحرب، في الحياة الزوجية،

(١) سورة القلم، الآية: ٤.

مع الأهل والأصحاب، في الإدارة والرئاسة والحكم والسياسة، في البلاغ والبيان، فالنبيّ ﷺ هو المثل الكامل، قال الله تعالى:

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾[1].

٥

فكان ﷺ يفيض رحمة في خلقه وسلوكه وأدبه وشمائله، فلا يحمل عبء بلاغ هذه الرحمة إلى العالمين إلّا رسول رحيم ذو رحمة عامّة شاملة فيّاضة، قال تعالى:

﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾[2].

فهو مثل أعلى للرحمة الإلهيّة لذلك وصفه الله تعالى بأنّه رؤوف رحيم يستطيع المؤمنون الاستفادة من الرحمة الّتي كان يُمثّلها النبيّ ﷺ، ذلك لأنّه "بالمؤمنين رؤوف رحيم ويستطيع الكافرون والمنافقون أيضاً -إلى جانب المؤمنين - الاستفادة من هذه الرحمة كذلك، فعندما قيل له: ادعُ على المشركين قال ﷺ: إنّي لم أُبعث لعّانًا، وإنّما بُعثت رحمة[3].

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٢١.

(٢) سورة التوبة، الآية: ١٢٨.

(٣) ميزان الحكمة، محمّد الري شهري، ج ٤، ص ٢٧٤.

محمد ﷺ الإنسان العطوف والمحبّ

إذا التفتنا إلى حياته الخاصّة ﷺ في بيته ومع عياله وأهل خاصّته لوجدنا بأنّ الرحمة والشفقة من أبرز أخلاقه وخصاله ﷺ وقد وصفه الله في القرآن الكريم بذلك، فقال تعالى عن النبيّ ﷺ:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾[١].

وقال تعالى:

﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾[٢].

وكان ﷺ يُحبّ الأطفال، ويُقبّل أولاده، ويعطف عليهم، ويأمر بالمساواة في المحبّة بينهم، كما كان يحبّ أهله وزوجاته، وهو القائل: حبّب إليّ من دنياكم: الطيب والنساء، وجُعلت قرة عيني في الصلاة. وقال ﷺ: "خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي[٣]. وكان ﷺ رحيماً با لجميع، بل إنّه يسمع بكاء الصبيّ فيسرع في الصلاة مخافة أن تُفتتن أمّه.

(١) سورة الأنبياء، الآية: ١٠٧.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٥٩.

(٣) من لا يحضره الفقيه، الشيخ الصدوق، ج ٣، ص ٥٥٥.

وكان ﷺ يمرّ بالصبيان فيسلّم عليهم. وجاء الحسن والحسين مرّة، وهما ابنا ابنته وهو يخطب الناس فجعلا يمشيان ويعثران فنزل النبيّ ﷺ من المنبر، فحملهما حتّى وضعهما بين يديه، ثمّ قال صدق الله ورسوله:

﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ (١)

نظرت إلى هذين الصبيّين يمشيان فيعثران فلم أصبر حتّى قطعت حديثي ورفعتهما. وفي رواية ما ضرب رسول الله شيئًا قطّ بيده ولا امرأة ولا خادمًا إلّا أن يجاهد في سبيل الله(٢).

وكان النبيّ ﷺ يُقَبِّلُ ابنه إبراهيم عند وفاته وعيناه تذرفان بالدموع، فيتعجّب بعض الحاضرين ويقول: وأنت يا رسول الله ﷺ فيقول النبيّ ﷺ: يا ابن عوف، إنّها رحمة، إنّ العين تدمع، والقلب يحزن، ولا نقول إلّا ما يُرضي ربّنا، وإنّا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون(٣).

ومن تواضعه وشكره: قال الإمام عليّ عليه السلام كان النبيّ ﷺ إذا سُئل شيئاً فأراد أن يفعله قال: نعم، وإذا أراد أن لا يفعل سكت، وكان لا يقول لشيء لا، وأمّا علاقته بأصحابه، فقد قال تعالى:

---

(١) سورة الأنفال، الآية: ٢٨.

(٢) ميزان الحكمة، محمّد الري شهري، ج ٤، ص ٣٢٣١.

(٣) المحلى، ابن حزم، ج ٥، ص ١٤٦.

﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[1].

وعن الإمام أبي عبد الله عليه السلام قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله يُقسّم لحظاته بين أصحابه، فينظر إلى ذا وينظر إلى ذا بالسويّة، وقال: ولم يبسط رسول الله رجليه بين أصحابه قطّ، وإن كان ليصافحه الرّجل فما يترك رسول الله صلى الله عليه وآله يده من يده حتّى يكون هو التارك...[2].

رحيم في الحرب والسلم

كان صلى الله عليه وآله في الحرب يقاتل بشجاعة، ولكنّه أيضاً كان صاحب شفقة عظيمة، كان سياسيّاً، ولكنّه في الوقت نفسه صاحب مروءة كبيرة وقلب كبير.

ففي غزوة أحد استشهد عمّه حمزة أسد الله ورسوله رضي الله عنه، ومُزّق جسده تمزيقاً، وشُجّ رأس النبيّ صلى الله عليه وآله وكُسِرت رباعيّته، وغطّى الدم جسده الشريف، وكان يدعو في مقابل أذى أهل مكّة له: اللهمّ اغفر لقومي إنّهم لا يعلمون[3]. فهل يوجد أرحم من النبيّ صلى الله عليه وآله في مثل هذه اللحظات.

---

(١) سورة التوبة، الآية: ١٢٨.

(٢) الكافي، ج٢، ص٦٧١.

(٣) بحار الأنوار، العلّامة المجلسي، ج ٩٥، ص ١٦٧.

وفي فتح مكّة كيف تعامل مع من أخرجوه وظاهروا على إخراجه وإيذائه؟ وكيف تعامل مع من حاصروه في شعب أبي طالب وتسبّبوا في وفاة أحبّ زوجاته إليه خديجة الكبرى رضي الله عنها، وفي وفاة عمّه أبي طالب؟ فلقد دخل مكّة بعشرة آلاف مقاتل، دخل على مركبه، والدرع على صدره، والسيف في يده، ولكنّه مع كلّ مظاهر النصر هذه كان أنموذجاً للرحمة، فسأل أهل مكّة: ما ترون أنّي فاعل بكم؟ فأجابوه: خيراً أخٌ كريمٌ وابن أخ كريم فقال لهم ما قاله يوسف عليه السلام لإخوته: لا تثريبَ عليكم اليوم يَغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين[1]. لقد قال لهم: اذهبوا فأنتم الطُلَقاء[2].

رسالته دين المحبة والرحمة

الدِّين الإسلامي هو دين الرحمة والمحبّة والسلام والدعوة إلى الخير، وما عالميّته وتشريعه للقتال والجهاد إلّا أحد مظاهر هذه الرحمة، إذ لا يمكن إيجاد الرحمة كخُلق للأفراد والمجتمعات إلّا بدفع الظالم ورفع ظلمه عن المظلومين.

يقول الله تعالى:

(١) سورة يوسف، الآية: ٩٢، الكافي، ج ٤، ص ٢٢٥.

(٢) الكافي، ج ٣، ص ٥١٣.

﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾[1].

ويقول الله تعالى:

﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾[2].

ويقول النبيّ ﷺ: لمّا خلق الله الخلق كتب عنده فوق عرشه: إنّ رحمتي سبقت غضبي[3].

فرحمة الله سبحانه واسعة، ولا يعلم مداها إلّا هو، فهو القائل سبحانه:

﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾[4].

وعن النبيّ ﷺ: جعل الله الرحمة مائة جزءٍ، فأمسك تسعة وتسعين، وأنزل في الأرض جزءًا واحدًا، فمن ذلك ا لجزء تتراحم الخلائق، حتّى ترفع الدابة حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه[5].

(١) ١٩- سورة الأنعام، الآية: ٥٤.

(٢) سورة يوسف، الآية: ٦٤.

(٣) الكافي، ج ٢، ص ٣٧٥.

(٤) سورة الأعراف، الآية: ١٥٦.

(٥) كنز العمال، المتقي الهندي، ج ٤، ص ٢٥٠.

رحمة للبشر

قال الرسول صلى الله عليه وآله: ارحم من في الأرض، يرحَمْك من في السماء[1] ومثل المؤمنين في توادّهم وتراحمهم وتعاطفهم؛ مثل الجسد؛ إذا اشتكى منه عضو، تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى[2] فالمسلم رحيم في كلّ أموره، يعاون أخاه فيما عجز عنه، فيأخذ بيد الأعمى في الطرقات ليجنِّبه الخطر، ويرحم الخادم، بأن يحسن إليه، ويعامله معاملة كريمة، ويرحم والديه، بطاعتهما وبرّهما والإحسان إليهما والتخفيف عنهما.

الغلظة والقسوة

حذَّر النبيّ صلى الله عليه وآله من الغلظة والقسوة، وعدَّ الّذي لا يرحم الآخرين شقيّاً، فقال صلى الله عليه وآله: لا تُنْزَعُ الرحمةُ إلّا من شَقِيّ[3] وقال صلى الله عليه وآله: لا يرحم الله من لا يرحم الناس وقال: الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض، يرحمكم من في السماء[4].

عن الإمام أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله مقامي بين

(١) من لا يحضره الفقيه، الشيخ الصدوق، ج ٤، ص ٣٧٩.

(٢) كنز العمال، المتقي الهندي، ج ١، ص ١٤٩.

(٣) فيض القدير للمناوي ج٦ ص٥٤٧

(٤) مستدرك الوسائل للنوري الطبرسي ج١٢ ص٣٨٥

أظهركم خيرٌ لكم، فإنّ الله يقول:

﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ﴾[1]

ومفارقـتي إيّاكـم خيرٌ لكم. فقالوا يا رسـول الله، مقامك بين أظهرنـا خيرٌ لنا، فكيف تكون مفارقتك خـيراً لنا؟ قال: أما أنّ مفارقـتي إيّاكم خيرٌ لكم، فإنّ أعمالكم تُعرض عليّ كلّ خميس واثنين، فما كان من حسنة حمدتُ الله عليها، وما كان من سيّئةٍ استغفرت الله لكم[2].

يقول الشاعر:

ارحم بُنَي جميـع الخلق كُلَّهُـمُ

وانْظُرْ إليهـم بعين اللُّطْفِ والشَّفَقَةْ

وَقِّـرْ كبيـرَهم وارحم صغيـرهـم

ثم ارْعَ في كلّ خَلْق حقَّ مَنْ خَلَقَـهْ

---

(١) - سورة الأنفال، الآية: ٣٣.

(٢) تفسير القمي، ج١، ص٢٧٦.

خصائص النبيّ في القرآن الكريم

بعض الصفات الّتي سنذكرها مشتركة بين النبيّ ﷺ وبين غيره لكنّها موجودة فيه في أعلى درجاتها.

أ- أنّ ذكره ﷺ متقدّم على غيره.

ب- أنّه أولى بالاتّصاف بها من غيره.

ج- أنّه أكثر اتّصافاً بها من غيره. فمثلاً قوله تعالى:

﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾[1].

فإنّ العزّة العليا لله عزّ وجلّ لا يشاركه فيها أحد. ثمّ هي لرسوله لا يشاركه في مرتبته أحد، ثمّ هي بعد ذلك للمؤمنين جميعاً.

قال الله سبحانه:

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾[2].

(١) سورة المنافقون، الآية: ٨.

(٢) سورة الأحزاب، الآيتان: ٤٥ ـ ٤٦.

فهو ﷺ:

١ - الشاهد على الخلق في أنّهم هل يطيعون التعاليم الّتي جاء بها أو يعصوها.

٢ - وهو المبشّر با لجنّة لمن أطاع اللّه سبحانه.

٣ - وهو النذير بالعقاب لمن عصى اللّه سبحانه.

٤ - وهو الداعي إلى اللّه بإذن اللّه سبحانه، أي الداعي إلى طاعته ورحمته.

٥ - وهو السراج المنير بالعلم والحقّ والهدى.

٦ - وهو المرسل رحمة للعالمين، قال سبحانه:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾[1].

٧ - وهو المرسل إلى الناس كافّة، قال سبحانه:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ﴾[2].

وهو بمعنى ا لجميع: يعني أرسلناك إلى الناس جميعاً.

---

(١) سورة الأنبياء، الآية: ١٠٧.

(٢) سورة سبأ، الآية: ٢٨.

٨ – وهو رسول الله قال سبحانه:

﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ﴾ [١].

وقال جلّ جلاله:

﴿رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ﴾ [٢].

يعني فيها كتابات ذات قيمة عظيمة ويراد بها القرآن الكريم.

٩ – وهو الذكر، قال الله سبحانه:

﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا * رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [٣].

١٠ – وهذه الآية الكريمة وعدد آخر تدلّ أيضاً على أنّه صلى الله عليه وآله:

التالي. لأنّه يتلو علينا آيات الله مبينات.

١١ – وهو أيضاً يخرج الّذين آمنوا وعملوا الصالحات، من

---

(١) سورة الفتح، الآية: ٢٩.

(٢) سورة البينة، الآيتان: ٢ ٣.

(٣) سورة الطلاق، الآيتان: ١٠ – ١١.

ظلمات الغواية والجهل إلى نور الحقّ والعدل. كما سمعنا من الآية نفسها.

١٢ - وطاعته مقرونة بطاعة الله سبحانه وكلاهما واجبة. قال سبحانه:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾[١].

١٣ - بل طاعته ﷺ هي طاعة الله سبحانه، قال تعالى:

﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾[٢].

١٤ - والاستجابة إليه مقرونة بالاستجابة لله سبحانه.

قال تعالى:

﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ﴾[٣].

وقال جلّ جلاله:

---

(١) سورة النساء، الآية: ٥٩.

(٢) سورة النساء، الآية: ٨٠.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٧٢.

﴿اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾[1].

١٥ - والإيمان بـه ﷺ مقرون بالإيمان بالله جلّ جلاله قال سبحانه:

﴿وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا﴾[2].

١٦ - وولايته مقرونة بولاية الله تعالى. قال جلّ جلاله:

﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾[3].

وقال سبحانه:

﴿وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾[4].

١٧ - وفضله مقرون بفضل الله قال تعالى:

﴿وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ﴾[5].

---

(١) سورة الأنفال، الآية: ٢٤.

(٢) سورة النور، الآية: ٤٧.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٥٥.

(٤) سورة المائدة، الآية: ٥٦.

(٥) سورة التوبة، الآية: ٥٩.

وقال سبحانه:

﴿وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾[١].

١٨ - وصدقه مقرون بصدق الله سبحانه. قال سبحانه:

﴿وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾[٢].

١٩ - ونصره مقرون بنصر الله سبحانه، قال جلّ جلاله:

﴿وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾[٣].

٢٠ - وعزّته مقرونة بعزّة الله سبحانه، قال تعالى:

﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾[٤].

٢١ - والكفر به مقرون بالكفر بالله سبحان، قال جلّ جلاله:

﴿إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ﴾[٥].

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٧٤.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٢٢.

(٣) سورة الحشر، الآية: ٨.

(٤) سورة المنافقون، الآية: ٨.

(٥) سورة التوبة، الآية: ٨٤.

٢٢ – وعصيانه مقرون بعصيان الله سبحانه قال تعالى:

﴿وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾[١].

٢٣ – وشقاقه، أي المعاندة ضدّه، مقرونة إلى الشقاق ضدّ الله سبحانه، قال الله عزّ وجلّ:

﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾[٢].

٢٤ – ومحادته، أي الكيد له والعمل ضد أهدافه، مقرونة بمحادة الله تعالى .قال جلّ جلاله:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الأَذَلِّينَ﴾[٣].

وقال سبحانه:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُبِتُوا كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾[٤].

٢٥ – وحربه مقرون بحرب الله سبحانه، قال تعالى:

---

(١) سورة الجن، الآية: ٢٣.

(٢) سورة الحشر، الآية: ٤.

(٣) سورة المجادلة، الآية: ٢٠.

(٤) سورة المجادلة، الآية: ٥.

﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾[1].

أي توقّعوا ذلك.

٢٦ – ومحاربته مقرونة بمحاربة الله سبحانه. قال جلّ جلاله:

﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا﴾[2].

٢٧ – وبراءته مقرونة ببراءة الله سبحانه، قال تعالى:

﴿بَرَاءَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[3].

٢٨ – ورضاؤه مقرون برضاء الله جلّ جلاله، قال تعالى:

﴿وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾[4].

٢٩ – وإيذاؤه مقرون بإيذاء الله سبحانه، قال سبحانه:

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٧٩.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٣٣.

(٣) سورة التوبة، الآية: ١.

(٤) سورة التوبة، الآية: ٦٢.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾[1].

٣٠ - وعهده مقرون بعهد الله تعالى، قال جلّ جلاله:

﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ اللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِ﴾[2].

محمد ﷺ حبيب المؤمنين

قال الله تعالى في محكم كتابه:

﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۞ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾[3].

ورد في سبب النزول أنّه ادعى جمع من الحاضرين في مجلس رسول الله ﷺ أنّهم يحبّون الله، مع أنّ العمل بتعاليم الله كان أقلّ ظهوراً في أعمالهم. فنزلت هاتان الآيتان بشأنهم[4].

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٥٧.

(٢) سورة التوبة، الآية: ٧.

(٣) سورة آل عمران، الآية:٣١.

(٤) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، ج٢ ، ص

تقول الآية أنّ الحبّ لا يكون بالارتباط والميل القلبيّ فحسب، بل يجب أن تظهر آثاره في عمل الإنسان. فإنّ دعوى الحبّ لله إذا كانت صادقة ينبغي أن تظهر وتتجلّى في أعمال الشخص الّذي يدّعيه، هل يتبع النبيّ صلى الله عليه وآله حقّاً أم لا:

﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي﴾(١).

فإنّ من آثار الحبّ واقعاً ميل وانجذاب المحبّ نحو المحبوب، في أقواله وأفعاله وأعماله، بحيث يستجيب المحبّ للمحبوب في كلّ أوامره ونواهيه، وإلّا لو كان المحبّ للمحبوب عاصياً ومتمرّداً، فهذه علامة على أنّ حبّه غير حقيقيّ بل هو ادعاء لا يتجاوز لسانه.

وهذا ليس خاصّاً بمن نزلت فيهم الآيتان، بل يعمّ جميع العصور والشعوب، فإنّ الذّين يدّعون محبّة النبيّ صلى الله عليه وآله والأئمّة عليهم السلام والمجاهدين والشهداء والصالحين والمتّقين، ولكنّ أعمالهم أبعد ما تكون عن مشابهة أولئك، هم كاذبون.

ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: ما أحبّ الله عزّ وجلّ من عصاه.

ثمّ قرأ الأبيات:

.٤٦٨

(١) سورة آل عمران، الآية:٣١.

تعصي الإله وأنت تظهر حبّه هذا لعمرك في الفعال بديع
لو كان حبّك صادقاً لأطعته إنّ المحبّ لمن يحبّ مطيع[1]

إذا كنّا حقّاً نحبّ الله لدرجة تظهر معها آثار ذلك الحبّ في أعمالنا وأخلاقنا، من خلال اتباع من فرض الله طاعته:

﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي﴾[2].

فإنّ الله تعالى سيحبّنا أيضاً بالمقابل:

﴿يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾[3].

وسوف تظهر آثار حبّه لنا من خلال غفران الذنوب، وشمولنا برحمته الّتي وسعت كلّ شيء:

﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[4].

وهذا معنى شفاعة نبيّنا صلى الله عليه وآله.. فما هو معنى الحبّ؟

---

(١) البرهان في تفسير القرآن، السيد هاشم البحراني، ج ١، ص٦١١.

(٢) سورة آل عمران، الآية:٣١.

(٣) سورة آل عمران، الآية:٣١.

(٤) سورة آل عمران، الآية:٣١.

معنى الحبّ

الحبّ: هو الوداد والمحبّة[1] والميل الشديد، ويُقابله البغض والتنفّر. والتحبّب هو إظهار الودّ والحبّ.

فالحبّ: هو الميل القلبيّ والباطنيّ نحوا لمحبوب، فلا يكون الشيء محبوباً إلاّ إذا مالت النفس إليه. وهذا الميل ذو درجات ومراتب، فإذا قوي هذا الميل واشتدّ سُمّي عشقاً[2]. أي أنّ الحبّ هو تعلّق خاصّ وانجذاب مخصوص شعوريّ بين الإنسان وبين كماله[3]. فمحبّة العبد لله تعالى لِما أنّ الذّات الإلهيّة هي الكمال المطلق غير المتناهي، والإنسان مفطور على حبّ الكمال والميل نحو كماله المطلق، ولا يرضى بكمال محدود حتّى يطلب كمالاً آخر أشدّ وجوداً وأكثر كمالاً.

وأما محبّة الله عبده فلِما أنّ الذات تحبّ آثارها، وصاحب الكمالات والأسماء الحسنى يحبّ مظاهر كماله وتجلّيات أسمائه، وكلّما كان الأثر أكثر دلالةً على ذي الأثر، والمظاهر على الكامل المطلق، اشتدّ الحبّ، والأثر لا يكون أكثر دلالةً على الذات إلّا بالطاعة والفناء بها، وكذا المظاهر والتجلّيات لا يشتدّ تجلّيها وظهورها إلّا بالقرب من المتجلّي والظاهر.

---

(١) لسان العرب لابن منظور، ج ١، ص ٢٨٩.

(٢) مجمع البحرين للشيخ فخر الدين الطريحي، ج١، ص ٤٤٢.

(٣) تفسير الميزان، العلامة الطباطبائي، ج١، ص ٤١٠.

فأحبّ الموجودات إلى الله تعالى هو أقربهم إليه من حيث الكمال والمظهريّة والتجلّي، وهو النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله.

درجات الحبّ

لمّا كان الحبّ عبارة عن تعلّق وجوديّ بين المحبّ والمحبوب، فهو يسري في جميع الموجودات، وهو من المفاهيم المشكّكة أي له مراتب متفاوتة من حيث الشدّة والضعف والدرجة والمرتبة، لذا مراتب الحبّ عديدة ويمكن ذكر بعضها:

الدرجة الأولى:

وهي ادعاء الحبّ على مستوى اللسان. وهذا ليس حبّاً حقيقيّاً، وليس درجة أو مرتبة حقيقيّة.

الدرجة الثانية:

وهي الحبّ بمعنى التعلّق القلبي والميل النفسيّ، وهذا قد يكون منشؤه العصبيّة والشعور بالانتماء، وليس هذا هو الحبّ المطلوب.

الدرجة الثالثة:

الحبّ القلبيّ الحقيقيّ، بحيث يسري الحبّ من القلب إلى سائر الجوارح، فتظهر آثار هذا الحبّ في عمل الإنسان وأخلاقه وسيرته، وهذا هو الحبّ المطلوب. وقد يشتدّ هذا الحبّ من خلال المتابعة والالتزام بالتعاليم النبويّة، حتّى يصير المحبوب مقدمّاً على الأولاد والعشيرة والممتلكات والتجارات وغير ذلك، قال تعالى:

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾[1].

وقال تعالى:

﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾[2].

(1) سورة البقرة، الآية: ١٦٥.

(2) سورة المجادلة، الآية: ٢٢.

حب النبيّ صلى الله عليه وآله بالعمل بأخلاقه

لما كان النبيّ صلى الله عليه وآله حبيب الله تعالى, فكلّ من يدّعي المحبّة لله لزمه حبّ النبيّ صلى الله عليه وآله واتباعه -كما سبق, ومحبّته إنّما تكون بمتابعته وسلوك سبيله, قولاً وعملاً وخُلُقاً وسيرةً وعقيدةً، ولا تصدق دعوى المحبّة إلّا بهذا, فمن لم يكن له من أخلاقه وسيرته صلى الله عليه وآله نصيب، لم يكن له من المحبّة نصيب، وإذا تابعه حقّ المتابعة ناسب باطنه وسرّه وقلبه ونفسه باطن النبيّ صلى الله عليه وآله وسرّه وقلبه ونفسه.

٢٧

من تجلّيات الحبّ لرسول الله صلى الله عليه وآله

إنّ لحبّ رسول الله صلى الله عليه وآله تجلّيات وعلامات عدّة، منها:

أولا: طاعة الله والعمل الصالح الموصل لمحبّة الله

يقول الله تعالى:

﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾[1].

أي ما دمتم تدّعون الحبّ لله, إذاً اتبعوا أمر الله ورسوله صلى الله عليه وآله,

---

(١) سورة آل عمران، الآية:٣٢.

وإن لم تفعلوا فلستم تحبّون الله, والله لا يحبّ هؤلاء

﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾[1].

ويستفاد من الآية أنّ إطاعة الله وإطاعة رسوله لا تنفصلان, وأن إطاعة الرسول ﷺ هي إطاعة الله, وإطاعة الله هي إطاعة رسول الله ﷺ.

ولطاعة الله والرسول ﷺ آثار عديدة، منها:

أ- دخول الجنّة، قال تعالى:

﴿وَمَن يُطِعِ اللّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[2].

ب- مرافقة النبيّين عليهم السلام والصدّيقين والشهداء، قال تعالى:

﴿وَمَن يُطِعِ اللّهَ﴾.

ج- الفوز، قال تعالى:

---

(1) سورة آل عمران، الآية:٣٢.

(2) سورة النساء، الآية:١٣.

﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾[1].

ثانيا: العمل بتعاليم وآداب الإسلام

إنّ من علامة المحبّ العمل بما يحبّه محبوبه ويقرّبه منه، روى جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال لي: "يا جابر أيكتفي من ينتحل التشيّع أن يقول بحبّنا أهل البيت، فوالله ما شيعتنا إلّا من اتقى الله وأطاعه، وما كانوا يُعرفون يا جابر إلّا بالتواضع والتخشّع والأمانة، وكثرة ذكر الله والصوم والصلاة والبر بالوالدين، والتعاهد للجيران من الفقراء وأهل المسكنة والغارمين والأيتام، وصدق الحديث وتلاوة القرآن، وكفّ الألسن عن الناس إلّا من خير، وكانوا أمناء عشائرهم في الأشياء.

قال جابر: فقلت: يا ابن رسول الله ما نعرف اليوم أحداً بهذه الصفة، فقال: يا جابر لا تذهبنّ بك المذاهب، حسب الرجل أن يقول: أحبّ عليّاً وأتولاه ثمّ لا يكون مع ذلك فعّالاً؟ فلو قال: إنّي أحبّ رسول الله، فرسول الله صلى الله عليه وآله خيرٌ من عليّ عليه السلام، ثمّ لا يتّبع سيرته ولا يعمل بسنّته، ما نفعه حبّه إيّاه شيئاً، فاتقوا الله واعملوا لما عند الله، ليس بين الله وبين أحد قرابة، أحبّ العباد إلى الله عزّ وجلّ (وأكرمهم عليه) أتقاهم وأعملهم بطاعته، يا جابر والله ما يتقرّب إلى الله تبارك وتعالى إلّا بالطاعة وما

(١) سورة النور، الآية: ٥٢.

معنا براءة من النار ولا على الله لأحد من حجّة، من كان لله مطيعاً فهو لنا وليّ، ومن كان لله عاصياً فهو لنا عدوّ، وما تنال ولايتنا إلّا بالعمل والورع[١].

إنّ ادعاء المحبّة من دون دليل وبيّنة لا يكون مقبولاً، إذ لا يمكن أن أكون صديقك وأضمر لك الحبّ والإخلاص، ثمّ أقوم بكلّ ما هو مناقض لرغباتك وأهدافك. إنّ شجرة المحبّة تنتج وتثمر في الإنسان المحبّ، والعمل حسب درجة المحبّة ومستواها. فإذا لم تحمل تلك الشجرة هذه الثمرة فلا بدّ من معرفة أنّها لم تكن محبّة حقيقيّة، وإنّما هي محبّة وهميّة.. فمحبّ أهل البيت عليهم السلام هو الّذي يشاركهم في أهدافهم، ويعمل على ضوء أخبارهم وآثارهم.

ثالثاً: زيارة رسول الله صلى الله عليه وآله

لا يخفى على أحد ما للزيارة من ترسيخ علاقة أو ارتباط وتعلّق بمن نزوره، فكيف لو كان رسول الله صلى الله عليه وآله، فإنّه الوسيلة إلى الله والشعيرة الّتي أُمرنا بتعظيمها:

﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾[٢].

(١) الكافي، الشيخ الكليني، ج٢، ص٧٥.

(٢) سورة الحجّ، الآية: ٣٢.

وقد ورد في فضل وثواب زيارة النبيّ ﷺ روايات عدّة، منها ما عن الإمام الرضا عليه السلام: يا أبا الصلت إنّ الله فضّل نبيّه محمّداً ﷺ على جميع خلقه من النبيّين والملائكة، وجعل طاعته طاعته، ومتابعته متابعته، وزيارته في الدنيا والآخرة زيارته، فقال:

﴿مَّنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾[1].

و ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ﴾[2]،

وقال رسول الله ﷺ: من زارني في حياتي أو بعد موتي فقد زار الله[3].

وعن الإمام أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: من أتاني زائراً كنت شفيعه يوم القيامة[4].

وعن الإمام أبي عبد الله عليه السلام قال: بينا الحسين بن عليّ في حجر رسول الله ﷺ إذ رفع رأسه فقال: يا أبه ما لمن زارك بعد موتك؟ فقال: يا بنيّ من أتاني زائراً بعد موتي فله الجنّة، ومن

---

(١) سورة النساء، الآية: ٨٠.

(٢) سورة الفتح، الآية: ١٠.

(٣) وسائل الشيعة، الحرّ العاملي، ج١٤، ص ٣٢٥.

(٤) الكافي، الشيخ الكليني ج٤ ص٥٤٨.

أتـى أبـاك زائراً بعد موته فله ا لجنّـة، ومن أتى أخاك زائراً بعد موته فله ا لجنّة. ومن أتاك زائراً بعد موتك فله ا لجنّة [1].

عن الإمام محمّد بن عليّ بن الحسين عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: مـن زارنـي أو زار أحداً من ذريّتي زرته يوم القيامة فأنقذته من أهوالها[2].

رابعا: دفع الأذى عنه صلى الله عليه وآله

يقـول صلى الله عليه وآله: «ما أوذي نـبيّ مثل ما أوذيت»[3]. فقد نال صلى الله عليه وآله من المصائـب وا لمحن وأنواع الزجر والأذى ما ليس في وسـع أحد أن يتحمّله إلّا نفسه الشريفة[4]، وما زال صلى الله عليه وآله يتعرض إلى الإساءة حتّـى بعد رحيله، كما في زماننا هذا، سـواء مـن قبل أعدائه أم مـن قبـل بعض ممّـن يدّعون اتباعـه ومحبّته، وكذلـك ما نال عترته صلى الله عليه وآله وأهل بيته بعد ارتحاله من قتل وظلم وجور.

فمـن كان يدّعي الاتباع وا لمحبّـة للنبيّ صلى الله عليه وآله لا ينبغي أن يظلم ويكفّر غيره من المسلمين باسم النبيّ الأكرم الّذي قال الله عنه:

---

(١) روضة الواعظين، الفتال النيسابورى ص١٦٩.

(٢) وسائل الشيعة ، الشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي..

(٣) بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج٣٩، ص ٥٦.

(٤) تفسير الميزان، العلامة الطباطبائي، ج٦، ص ٥٣.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾[1].

وعلى المسلمين منع إساءة الملحدين والمنكرين لنبوّته ﷺ، لا بالقيام بالإساءة إليه من خلال الدعوة إلى الطائفية والبغض وتفرقة صفوف المسلمين.

٣٣

من آثار اتباع ومحبّة الرسول ﷺ

أولا: محبّة الله

النبيّ الأكرم ﷺ هو مظهر المحبّة الإلهيّة، فيلزم أن يكون للمتابع والمطيع للنبيّ ﷺ قسط من محبّة الله تعالى بقدر نصيبه من المتابعة والطاعة، فيلقي الله تعالى محبّته عليه بواسطة محبّة النبيّ ﷺ، فيصير محبوباً لله، ومحبّاً له، ولو لم يتابع النبيّ ﷺ بل خالفه، ابتعد عن وصف المحبوبيّة وزالت المحبّة عن قلبه، إذ لو لم يحبّه الله تعالى لم يكن محبّاً له، فيقع في الكفر:

﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾[2].

---

(١) سورة الأنبياء، الآية: ١٠٧.

(٢) سورة آل عمران، الآية:٣٢.

عـن الإمـام الصـادق عليه السلام: «مـن سـرّه أن يعلـم أنّ الله يحبّـه فليعمل بطاعة الله وليتّبعنا، ألم يسمع قول الله عزّ وجلّ لنبيّه صلى الله عليه وآله

﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾[(١)].

والله لا يطيـع الله عبـد أبـداً إلّا أدخـل الله عليـه في طاعته اتباعنـا، ولا والله لا يتبعنـا عبـد أبداً إلّا أحبّـه الله، ولا والله لا يـدع أحد اتباعنا أبداً إلّا أبغضنا، ولا والله لا يبغضنا أحد أبداً إلّا عصـى الله، ومـن مات عاصياً لله أخزاه الله وأكبّه على وجهه في النار»[(٢)].

وعنه عليه السلام: «فمن أحبّ الله أحبّه الله عزّ وجلّ، ومن أحبّه الله عزّ وجلّ كان من الآمنين»[(٣)].

(١) سورة آل عمران، الآية:٣١.
(٢) الكافي، الشيخ الكليني، ج٨، ص ١٤.
(٣) الخصال، الشيخ الصدوق، ص١٨٨.

ثانيا: غفران الذنوب

قال تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾[1].

إذا أحبّ الله عبداً غفر له ذنوبه وشملته رحمته، لأنّ محبّة الله عبده رضاه عنه، وهو سبب لغفران ذنوبه وكمال فوزه بالسعادة العظمى وكمال نور إيمانه ووجوب الجنّة له، فإذاً من آثار محبّة النبيّ صلى الله عليه وآله غفران الذنوب.

عن الإمام أبي جعفر عليه السلام عن أمير المؤمنين عليه السلام - في خطبة له - قال: «وقال في محكم كتابه:

﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً﴾[2].

فقرن طاعته بطاعته، ومعصيته بمعصيته، فكان ذلك دليلاً على ما فوّض إليه، وشاهداً له على من اتبعه وعصاه. وبيّن ذلك في غير موضع من الكتاب العظيم، فقال تبارك وتعالى في التحريض على اتباعه، والترغيب في تصديقه والقبول

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٢٢.

(٢) سورة النساء، الآية: ٨٠.

لدعوته:

﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ (١)

فاتباعه ﷺ محبّة الله، ورضاه غفران الذنوب وكمال الفوز ووجوب الجنّة، وفي التولي عنه والإعراض محادّة الله وغضبه وسخطه. والبعد منه سكن النار، وذلك قوله تعالى:

﴿وَمَن يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ﴾ (٢).

يعني الجحود به والعصيان له»(٣).

ثالثاً: الشفاعة

قال رسول الله ﷺ: «أُعطيت خمساً لم يعطها أحد قبلي: جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، ونصرت بالرعب، وأحلّ لي المغنم، وأعطيت جوامع الكلم، وأعطيت الشفاعة»(٤).

وسُئل الإمام أبو عبد الله عليه السلام عن شفاعة النبيّ ﷺ يوم

---

(١) ٣٥- سورة آل عمران، الآية:٣١.

(٢) سورة هود، الآية: ١٧.

(٣) البرهان في تفسير القرآن، السيد هاشم البحراني، ج ٣، ص٩٦.

(٤) بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج٨، ص ٣٨.

القيامة، قال: «يلجم الناس يوم القيامة العرق فيقولون: انطلقوا بنا إلى آدم يشفع لنا عند ربّه، فيأتون آدم فيقولون: اشفع لنا عند ربّك، فيقول: إنّ لي ذنباً وخطيئة فعليكم بنوح، فيأتون نوحاً فيردّهم إلى من يليه، ويردّهم كلّ نبيّ إلى من يليه حتّى ينتهون إلى عيسى فيقول: عليكم بمحمّد رسول الله فيعرضون أنفسهم عليه ويسألونه فيقول:

انطلقوا، فينطلق بهم إلى باب الجنّة، ويستقبل باب الرحمن ويخرّ ساجداً فيمكث ما شاء الله فيقول الله عزّ وجلّ:

﴿ارفع رأسك واشفع تُشفع وسل تُعط، وذلك قوله: عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَّحْمُوداً﴾[1].

وعن الإمام عليّ بن موسى الرضا، عن آبائه عليهم السلام، عن أمير المؤمنين صلوات الله عليه قال: قال رسول الله ﷺ: «أربعة أنا لهم شفيع يوم القيامة: المكرم لذرّيّتي، والقاضي لهم حوائجهم، والساعي في أمورهم ما اضطرّوا إليه، والمحبّ لهم بقلبه ولسانه عندما اضطرّوا»[2].

---

(١) بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج٨، ص ٣٥.

(٢) بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج٨ ص ٤٩.

أقوال المستشرقين في النبي الأكرم ﷺ

نورد هنا جملة من الأقوال التي قالها الغربيون والمستشرقون بعدما بهرتهم شخصية النبي الأكرم محمد ﷺ.. ذلك الإنسان الذي أسر القلوب بأخلاقه وأفعاله لا بتوصياته وأقواله فقط، إننا إذ نورد هذه الأقوال لا بسبب حاجتنا إلى تقوية حجة النبي المصطفى ﷺ.. بل لنبيّن أن رسالته قد أبهرت عقول المنصفين في العالم حتى أصبحت رسالة النبي رسالة إنسانية عالمية:

(إدوارد كيب بن)

إن المعاني الجميلة المرسومة في وجه النبي محمد كان لها الأثر الكبير في نفوس الناس، فكان عندما يتحدث مع الناس ينجذبون إليه ويذعنون إليه، ولا فرق في ذلك كون المستمع واحداً أو أكثر.

ولقد كان مؤدباً وملتزماً ومتواضعاً لا يفرق في المعاملة، فالغني والفقير عنده سواء، وكان قوي الذاكرة ذكياً صريحاً، ولديه ثقة بنفسه، ولا يتردد في الإقدام على عمل ما، وهذه الأخلاق السامية غطت أفكاره أنحاء العالم.

(استانلي لين بول)

كان النبي محمد ذا موهبة خاصة في قوة فكره، وجماله، وصفاء نفسه، وكان من أخلاقه عيادة المرضى، وتشييع الجنائز.

وكان يستجيب إذا دعاه أحد إلى وليمة، ويخيط ثوبه بنفسه، ويحلب شاته، ويقوم بأشغاله المنزلية بنفسه، وإذا صافح أحداً لا يرفع يده من يد صاحبه إلا أن يكون الطرف المقابل هو الرافع.

وكان يعامل من هم تحت رعايته بكل وفاء، وكل من رآه أو عاشره أحبه، ولم أرَ مثله في التاريخ، لا من قبل ولا من بعد، ويعتبر قرآنه النازل باللغة العربية آية من آيات الروعة والجمال.

وعلى أي حال فهو عادل ومنصف يحب الجميع، وبالرغم من أنه لم يدرس في مدرسة، استطاع بقوة شخصيته وأخلاقه خلال مدة (٢٣) سنة أن يقيم شريعة الإسلام التي تعتبر من أكبر الشرائع وأكمل الحضارات، إلا أن ما يؤسف له أن المسيحيين في أوربا بشكل عام يحملون عنه تصورات واهية.

(آلفونس دولا مارتين)

إذا أخذنـا بنظر الاعتبار عظمـة الأهداف التي حققها نابغة من البشـر بالرغم من الوسـائل البسيطة المتيسرة له فلا نجد في تاريـخ الإنسـانية غـير محمد، حيـث أنه حرك ثلث سـكان العالم وأوجد نهضة كبرى في الأفكار والعقائد والنفوس، ودعا إلى الإسـلام الذي ينفي عبادة الآلهة المزيفة التي تتوسـط بين الخالق والمخلوق، وحث على العقائد الحقة.

ولم يسـتطع نبي مثله أن يحدث ثورة مقدسـة وخالدة بمدة قصيرة جداً، إذ لم يمضِ على رسالته أكثر من مئتي سنة حتى وصلـت إلى بـلاد مصر، والحبشـة، وشمال أفريقيـا، وأكثر جزر البحر الأبيض المتوسـط، وجزء من فرنسـا، وقسـماً كبيراً من أراضي إسبانيا.

(بارتلمي هيلر)

كان النـبي محمد أعقل العـرب وأكثرهم تدينـاً وعطفاً على الآخريـن، وبهـذه الأفضليـة صار عظيمـاً، ونحـن نعتبر دعوة النـبي قومه لهذا الدين العظيـم نعمة كبيرة أنعمها البـاري عز وجل عليهم.

(بولن فيلرز)

كان النـبي محمـد مشـرِّعاً كبـيراً وذكيـاً، إذ أتحـف العالمـين بديـن مهـذّب، وكان الممثّل الحـي للعنايات الإلهية، أرسـله الله تعـالى المطَّلـع على كل شـيء لينقـذ المسيحيين الضالين عن عبـادة الأصنـام، ويجعل الفُرس عبدَة الشـمس مطيعين لدين التوحيد.

منح الله تعالى محمداً صفات أخلاقية رفيعة وعالية، وأعطاه فصاحة فوق مسـتوى البشـر، مكَّنته من أن يغيِّر أجهل الناس وأعقلهم، وأن ينقلهم من ضلال ا لجاهلية إلى الاعتقاد بالدين الإسلامي.

(تولستوي)

لا شك في أن النبي محمد من المصلحين العظام الذين قدموا للبشرية خدمات جديرة بالذكر، وكفاه فخراً أنه أنقذ مجتمعاً اعتـاد على سـفك الدماء والعادات الشـنيعة، آخـذاً بيده نحو الرقي والحضارة الإنسانية، وهذا العمل الفريد مما يعجز عنه أي إنسان عادي.

ولعظمـة شـخصية النـبي محمـد فهـو يسـتحق الاحـترام

والإكرام، وسَتَسُود شريعته في المستقبل أطراف العالم لأنها تنسجم مع العقل والحكمة.

(توماس كارليل)

إن أعداء محمد لو ينظرون إليه نظرة حقيقية خالية من الأهواء سيفهمون جيداً أن هذا الرجل العظيم كان يحمل أفكاراً هي في الواقع فوق الطمع الدنيوي وحب الجاه والتسلط.

وعلى رغم أنف الأعداء لم يكن النبي محمد رجل شهوة أو لذة، لكن الظالمين والمعاندين اتهموه بذلك، أو ليس من الظلم أن نصف شخصاً مثل النبي محمد باتباع الشهوات والملذات؟ بينما هو ﷺ في الواقع بعيد كل البعد عن ذلك.

(جان ديون بورت)

لابد من الاعتراف بالنبي محمد كمصلح ديني ومشرّع للقوانين، فقد ظهر في القرن السابع الميلادي بالجزيرة العربية، وهو بلا شك من أكبر الشخصيات التي يحق لقارة آسيا أن تفتخر به.

(رودلف يوكل)

كل من عاشر نبي الإسلام نقل عنه أنه كان محبوباً ومحترماً، دائم الذكر لله سبحانه، أمضى عمره في سبيل إقامة العدالة الإنسانية، ولم يكن تأثيره مقتصراً على محبيه بل كان غير المحبين يكنون له كل الاحترام والتقدير أيضاً.

(رينولد ألين نيكلسون)

بعد بعثة النبي محمد أُزيح ستار الظلام عن أهل الجزيرة العربية، وأطلّوا على الأساس المحكم للسُّنَن التأريخية، بفضل ظهوره المبارك.

الخاتمة

مسك الختام رواية تعبر عن مدى التضحية التي تتزايد طرديا مع الحب والود، وكان بطلها أبا ذر رضوان الله تعالى عليه..

كان أبو ذرّ رحمه الله تخلّف عن رسول الله ﷺ ثلاثة أيّام، وذلك أنّ جمله كان أعجف، فلحق بعد ثلاثة أيّام ووقف عليه جمله في بعض الطريق، فتركه وحمل ثيابه على ظهره، فلمّا ارتفع النهار نظر المسلمون إلى شخص مقبل، فقال رسول الله: كن أبا ذر، فقالوا: هو أبو ذر، فقال رسول الله ﷺ: أدركوه بالماء فإنّه عطشان، فأدركوه بالماء ووافى أبو ذرّ رسول الله ﷺ ومعه إداوة[1] فيها ماء فقال رسول الله ﷺ: يا أبا ذرّ معك ماء وعطشت؟ فقال: نعم يا رسول الله بأبي أنت وأمّي انتهيت إلى صخرة عليها ماء السماء فذقته فإذا هو عذب بارد، فقلت: لا أشربه حتّى يشربه حبيبي رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: يا أبا ذر رحمك الله تعيش وحدك، وتموت وحدك، وتبعث وحدك، وتدخل ا لجنّة وحدك، يسعد بك قوم من أهل العراق، يتولّون غسلك وتجهيزك والصلاة عليك ودفنك[2].

إذن.. رسول الله محمد ﷺ كان القدوة والأسوة، كان قدوة في

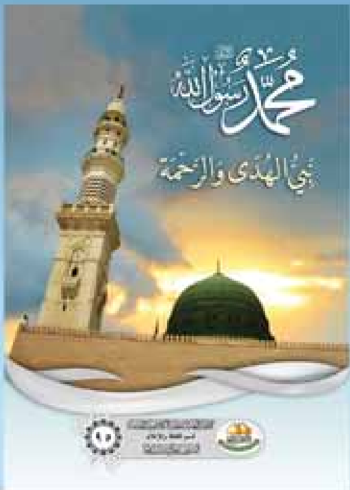
(١) الإدواة: هي آلة لوضع الماء كالجراب.

(٢) بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج٢١، ص٢١٥.

الخلـق الكريم والأمانة وصـدق الحديث والعطف على الصغير وكان خـير النـاس لأهلـه وعيالـه بـارا بإخوانه مـن الأصحاب لـين في معاملتـه مـع النـاس.. وكل هـذه الصفـات يميـل لهـا العقل والمنطق لأن العقل البشـري يسـتجمل هذه الأشياء ولا يسـتقبحها، وبالتالي فهي تلقي محبة النبي الأعظم في قلوب النـاس وهذه القدوة تحتم علينـا أن نكون له محبين مطيعين ولا تتحقق المحبة فعليا ما لم نلتزم بآداب مَن نحب وأخلاقه.

نسـأل الله تعـالى أن يجعلنـا مـن المحبـين المطيعـين لنـبي الإنسانية محمد المصطفى ﷺ.. قولا وفعلا

الفهرس



تسعى بعض وسائل الإعلام الغربية في السنوات الأخيرة - بحجّة حرّية الرأي والتعبير- للنيل من أعظم شخصية إنسانية في الوجود وهي شخصية النبيّ ﷺ، الذي تصوّره وسائل الإعلام الغربية بوسائل وأساليب ساخرة بأنه رجل حرب وقتل ونهب وسلب، وأنّه كان غليظ القلب، وأنّ الإسلام دين العنف والرهبة والقتال.

هذه الشخصيّة الّتي نالت القدر الأوفى من كلّ الشمائل الحسنة والخلال النبيّلة، والقيم الإنسانيّة العليا، وحرّرت الإنسان ورفعت عنه إصر عبوديات وأغلال كثيرة كانت منتشرة في العالم، فلقد شكّلت شخصية النبيّ ﷺ الرجل الّذي اكتملت فيه كلّ الأخلاق الحميدة، وانتفت عنه كلّ الأخلاق الذميمة.. ولأن العقل البشري يستجمل هذه الأشياء ولا يستقبحها، لذلك فهو ﷺ أسر القلوب بأخلاقه وأفعاله لا بتوصياته وأقواله فقط، حتى أبهرت رسالته عقول المنصفين في العالم فأصبحت رسالة النبي رسالة إنسانية عالمية.

الأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة
الشؤون الفكرية والثقافية — الثقافة والإعلام
زورونا www.aljawadain.org
راسلونا fikriya@aljawadain.org